

الحكمة

في

شعراين المقرب

كان حازم القرطاجني يرى أن عجيبيات الحكمة في القصيدة بمنزلة التحجيل للفرس وقد شرح ذلك فقال : « إذا كان التخييل هو قوام المعاني الشعرية ، فإن الإقناع هو قوام المعاني الخطابية ، واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية سائع إذا كان ذلك على جهة الإلماح في الموضوع بعد الموضوع ، وإنما ساء ذلك لأن النفوس تحب الاقتناع في مذاهب الكلام وترتاح للثقل من بعض ذلك ، والفن المرواح بين معانيه أفضل من الفن الذي لا مراوحة فيه ، لكن ينبغي أن تكون الأقاويل المقتنة الواقعة في الشعر تابعة للأقاويل الخيلة ومؤكدة لها فيما قصد بها من الأغراض ، وأن تكون الخيلة هي العمدة . »

د. عبده عبد العزيز قليقيله

وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأوقاويل الخيلة الواقعة فيها تابعة للأقاويل المقتنة ومؤكدة لمعانيها ومناسبة لها ، وأن تكون الأقاويل المقتنة هي العدة .

وقد كان المتنبي يحسن وضع البيت الإقناعي بين الأبيات الخيلة ؛ لأنه كان يُصدّر القصول بالأبيات الخيلة ثم يختمها ببيت إقناعي يعضد به ما تقدم من التخييل ويحم النفوس لاستقبال الأبيات الخيلة في الفصل التالي ، فكان لشعره أحسن موقع من النفوس ، ويجب أن يعتمد مذهبه في ذلك فهو حسن^(١)

* * *

ويحسن التنبيه إلى أن الأبيات الحكيمة هي ما سماه رشيد الدين الوطواط بإرسال المثل وإرسال المثلين والكلام الجامع ، يقول في إرسال المثل : ويكون ذلك بأن يذكر الشاعر مثلاً في بيته ، ويقول في إرسال المثلين : وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر مثلين في بيت واحد ، أما الكلام الجامع فيتحقق ألا يترك الشاعر أبياته شطراً من الحكمة والموعظة الحسنة .^(٢)

وابن المقرب يحكمه المقتنة يصلح - كالمتنبي - أن يكون مثلاً لما قاله حازم ، لكنه يكثر منها حتى يمكن أن يكون تطبيقاً عملياً لما نادى به الوطواط نظرياً ، ومهما يكن من أمر ، فلم تؤسس قصيدة واحدة في ديوانه على الحكمة ؛ لأنها من الأغراض الفرعية دائماً ، لكنها بطن معظم موضوعاته وأكثر أغراضه ، وهي تتردد بين القلة والكثرة في القصيدة الواحدة على الوجه الآتي :

- ١ - القصيدة رقم (١) ص ٣ وفيها من الشعر الحكيم البيتان ١٧ ، ١٨ .
- ٢ - القصيدة رقم (٢) ص ١٩ وفيها من الشعر الحكيم البيتان ١ ، ٤ .
- ٣ - القصيدة رقم (٤) ص ٢٦ وفيها من الشعر الحكيم البيتان ٥٠ ، ٦٨ .
- ٤ - القصيدة رقم (٥) ص ٣٥ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ - ٣ ، ٣٥ ، ٣٩ - ٤١ .

- ٥ - القصيدة رقم (٧) ص ٤٧ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ - ٥ .
- ٦ - القصيدة رقم (٨) ص ٥٢ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١٢ ، ١٥ - ٢١ ، ٢٣ - ٢٥ .
- ٧ - القصيدة رقم (٩) ص ٥٩ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١٠ ، ٣٥ - ٣٧ .
- ٨ - القصيدة رقم (١٠) ص ٦٤ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٤ - ٧ ، ١٠ - ١٨ ، ٢٠ - ٢٢ ، ٧٧ ، ٧٨ .
- ٩ - القصيدة رقم (١١) ص ٧٤ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٩ - ١٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٦ - ٧٢ .
- ١٠ - القصيدة رقم (١٢) ص ٨٤ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٤ - ٧ .
- ١١ - القصيدة رقم (١٤) ص ١٠٠ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١٢ ، ٤٢ ، ٤٣ .
- ١٢ - القصيدة رقم (١٥) ص ١٠٥ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٣ - ٧ ، ١٦ ، ١٧ .
- ١٣ - القصيدة رقم (١٧) ص ١٢٠ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ - ٥ ، ٢٧ - ٢٩ .
- ١٤ - القصيدة رقم (١٩) ص ١٣٢ وفيها من الشعر الحكيم البيتان ٤٩ ، ٥٠ .
- ١٥ - القصيدة رقم (٢٠) ص ١٤٠ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ - ١٣ ، ٢٧ - ٣١ ، ٦٦ - ٦٩ ، ٧٢ .
- ١٦ - القصيدة رقم (٢١) ص ١٤٩ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٣ - ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٩ - ٢٥ ، ٣٠ - ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٢ - ٤٥ .
- ١٧ - القصيدة رقم (٢٣) ص ١٦٠ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٢ - ٧ ، ١٧ .
- ١٨ - القصيدة رقم (٢٤) ص ١٦٧ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ - ١٢ ، ٣١ - ٣٥ ، ٣٨ .
- ١٩ - القصيدة رقم (٢٥) ص ١٧٦ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٥ - ٧ ، ١٧ - ٢١ ، ٢٣ - ٢٥ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٧ .

- ٢٠ - القصيدة رقم (٢٩) ص ١٩٨ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٥٠ - ٥٢ .
- ٢١ - القصيدة رقم (٣٣) ص ٢١٤ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٧ .
- ٢٢ - القصيدة رقم (٣٦) ص ٢٢٩ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ - ٤ .
- ٢٣ - القصيدة رقم (٣٧) ص ٢٣٤ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٤ - ٨ .
- ٢٤ - القصيدة رقم (٣٨) ص ٢٤٠ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٣ - ٥ ، ٨ ، ٩ .
- ٢٥ - القصيدة رقم (٣٩) ص ٢٥٢ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٢ - ١٠ ، ١٣ ، ٢٨ .
- ٢٦ - القصيدة رقم (٤١) ص ٢٦٦ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٢ ، ٣ ، ١٠ - ٢٠ ، ٥٠ .
- ٢٧ - القصيدة رقم (٤٢) ص ٢٧٢ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٧ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٤ .
- ٢٨ - القصيدة رقم (٤٤) ص ٢٨٣ وفيها من الشعر الحكيم البيت ٤ .
- ٢٩ - القصيدة رقم (٤٦) ص ٢٩٢ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٣ ، ٤ ، ١٢ ، ١٣ .
- ٣٠ - القصيدة رقم (٤٨) ص ٣١٦ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ .
- ٣١ - القصيدة رقم (٤٩) ص ٣٢٦ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٣ - ٥ ، ٦ - ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ .
- ٣٢ - القصيدة رقم (٥٠) ص ٣٣٤ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٢٠ ، ٢١ ، ٣٧ - ٤٣ ، ٤٩ - ٤٧ .
- ٣٣ - القصيدة رقم (٥١) ص ٣٤١ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٤١ - ٤٩ .
- ٣٤ - القصيدة رقم (٥٢) ص ٣٥٠ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ - ٧ ، ١٨ ، ١٩ .
- ٣٥ - القصيدة رقم (٥٤) ص ٣٦٤ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٧ - ٩ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٩ ، ٤٥ - ٥٠ .
- ٣٦ - القصيدة رقم (٥٥) ص ٣٧٠ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٣٣ ، ٣٨ - ٤٣ .

٣٧ - القصيدة رقم (٥٦) ص ٣٧٨ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ ، ٣ - ٧ ، ٩ ، ١١ -
١٣ ، ١٥ .

٣٨ - القصيدة رقم (٦٢) ص ٤١٣ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ - ٨ .
٣٩ - القصيدة رقم (٦٧) ص ٤٤٨ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ ، ١٩ - ٢٢ ، ٢٤ ،
٢٥ .

٤٠ - القصيدة رقم (٦٨) ص ٤٥٦ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٦ - ٩ ، ٦٧ - ٧٢ .
٤١ - القصيدة رقم (٧٠) ص ٤٦٦ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ ، ٦ - ١١ .
٤٢ - القصيدة رقم (٧١) ص ٤٧٣ وفيها من الشعر الحكيم البيتان ٦٢ ، ٧٥ .
٤٣ - القصيدة رقم (٧٢) ص ٤٨٣ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ - ٧ ، ٢٣ .
٤٤ - القصيدة رقم (٧٨) ص ٥١١ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١ - ٤ ، ١٢ ، ١٤ -
٢٢ .

٤٥ - القصيدة رقم (٨٠) ص ٥٢٦ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٢ - ٢٢ ، ٢٤ - ٢٦ .
٤٦ - القصيدة رقم (٨١) ص ٥٥٤ وفيها من الشعر الحكيم البيتان ٢٥ ، ٣٤ .
٤٧ - القصيدة رقم (٨٩) ص ٥٩٤ وفيها من الشعر الحكيم البيت ٥٠ .
٤٨ - القصيدة رقم (٩٠) ص ٦٠١ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٥ ، ١٢ ، ١٣ ، ٣٤ ،
٣٥ ، ٥٥ ، ٥٧ .

٤٩ - القصيدة رقم (٩٣) ص ٦٢٣ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ،
٢٥ - ٢٧ ، ٣٤ .

٥٠ - القصيدة رقم (٩٦) ص ٦٤٩ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ٣ ، ١٠ - ١٢ .
٥١ - القصيدة رقم (٩٨) ص ٦٥٧ وفيها من الشعر الحكيم الأبيات ١٥ - ١٧ ، ٣٢ -
٣٨ (٣)



وننظر في هذه الحكم بغية تصنيفها ووردها إلى مصادرها التي أوحى بها وساعدت عليها فتجدها موزعة هكذا :

١ - حكم حماسية تدعم مذهب القوة ، وهو مذهب دان به ابن المقرب ورآه محرّجاً له وللدولة العيونية مما ارتلقت إليه وتردت فيه من تحاذل وضعف ، وقد استمدتها من واقعه وواقع دولته ، ومن يقرأ ديوانه يرى كيف آده هذا الواقع وأثقل كاهله .
ونمثل لذلك بمقدمة القصيدة رقم ٣٦ ص ٢٢٩ قال :

لا عَزَّ إِلَّا بَعْدَ الصَّارِمِ الذِّكْرِ وَضَرْبِكَ الصِّدْقَ بَيْنَ الْهَامِ وَالْقَصْرِ
وَقُدُوكَ الْخَيْلَ غَضِي فِي أَعْنَبِهَا بِعَاجِلِ الْعِزِّ أَوَّلَاهَا عَنِ الْخَيْرِ
وَبِالطُّوَالِ الرُّدْبَيْنِيَّاتِ تَدْرِكُ مَا فَوْقَ الْمُنَى لَا يَطْوِلُ الذَّهْلُ وَالشَّعْرُ^(١)



وأطول نفساً من ذلك قوله في القصيدة رقم ٧٨ ص ٥١١ .

بِسْمِ الْقَنَا وَالْمُهَفَّاتِ الصَّوَارِمِ	بِنَاءِ الْمَعَانِي وَاقْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ
وَفِي صَهَوَاتِ الْخَيْلِ تَدْمِي نَحْوَهَا	شِفَاءَ لَأَدْوَاءِ الْقُلُوبِ الْحَوَارِمِ
وَمَا الْقَفْرِ إِلَّا الطُّعْنُ وَالضَّرْبُ وَالنَّدَى	وَرَفْضِ الذَّنَابِ وَأَشْفَارِ الْجَرَائِمِ
وَلَفِ الرَّايَا بِالرَّايَا تَحَاظَا	حِرَارَ الْحِجَازِ أَوْ بِحَارَ الْوِطَامِ ^(٢)
تَقَحُّمَهَا قُدَمًا إِلَى الْمَوْتِ فَنِيَّةٌ	تَرَى عَيْشَهَا فِي الذَّلِّ حَزَّ الْفَلَاحِ ^(٣)
وَمَنْ طَلَبَ الْعَلِيَاءَ جَرَّدَ سَيْفَهُ	وَعَاضَى بِهِ بِحْرَ الرَّدَى غَيْرَ وَاجِمِ
فَمَا عَظُمَتْ قِدَمًا قَرِيشَ وَوَالِلِ	عَلَى النَّاسِ إِلَّا بَارْتِكَامِ الْعِظَامِ
وَمَنْ لَمْ يَلْجُ بِالنَّفْسِ فِي كُلِّ مَهْمِ	بِعَشْرٍ عَرَضًا لِلذَّلِّ عَيْشَ الْيَاهِمِ
وَمَنْ لَمْ يَلْجُهَا صَامِرَاتٍ إِلَى الْعَدَى	تُقَدِّحُ نَحْوَهُ عَرَجُ الْبَرَى وَالشَّكَاثِمِ ^(٤)

فما انتصفت الأشرار إلا لغاشم
 فن رام أن يستعد الناس فليمل
 فأكثر من تلقى لسان مالم
 كلام كآزى النحل حلو وإنه
 ليا عاظم العلياء ليس مثالا
 فدع عنك ذكراها فبعض صداقها
 له فيهم فتك الأسود الصراهم
 عليهم بأطراف القناغير راحم
 ونحت جآجي الصدر قلب مصادم^(٨)
 لأعبت غيبا من لعاب الأراقم
 برفع الغواشي واتخاذ التراجم^(٩)
 وزود النسايا واحتيال المصارم

وابن المقرب هنا يطيب نفسه ولقومه ويستحثهم على ما فيه نجاتهم مما ينتظرهم على أيدي أعدائهم الطامعين في ملكهم ويطلب منهم أن يكونوا أقوىاء غير رحماء ، يخشى الناس بأسهم فيخضعون لهم .

٢ - حكم مسألة موادة وهي حكم تمثل مرحلة تالية للمرحلة التي قال فيها الحكم السابقة ، وإذا كانت الحكم الأولى موجبة ، فإن الحكم التالية سالية ، وهي حكم أنطقه بها بأسة من استجابة قومة له ، وإحساسه بأن عنادهم موردهم مورد التهلكة ، قال مفتتحاً القصيدة رقم ٣٩ ص ٢٥٢ .

دع الدار بالبحرين تطو ربوعها
 وخل أحاديث الطامع والنمى
 ولا تحسذن فيها رجالاً يشبعها
 فلا بد للمتنحي على الزاد وحده
 وإن دولة ولت قشاعا فولها
 ولا تصبن في نصع من غاب رشه
 لعل ذرا نهوى فتعلو أسافل
 وبع بالقل دار المهانة والأذى
 وسقها ولو لم يبق إلا نسوعها
 ألا إنما أشقى الرجال طموعها
 فخير لها من ذلك الشبع جوعها
 إذا ما امتلا من هوة سبوعها
 فهاك فأعي كل شيء رجوعها
 وهون فحفاس البالي رثوعها
 لذلك فرقاع البرايا وهرعها
 فها الرابع المغبوط إلا بيوعها .

وتلتقي هذه الحكم مع الحكم الأولى في أن منبها واحد هو المجتمع الإحساني والدولة
المعينة ، وما أحسن قوله في البيت الثالث عشر من هذه القصيدة :

إذا لغرت عن قرية طير سقدها لما يرنجي إلا ينحصر وقوعها
وقوله في البيت الثامن والعشرين منها :

وليس لنا في السر إلا محارة ولا في علوق النخل إلا قنوعها^(١٠)
والحكمة في البيتين ذاتية ، لكنها مستمدة من البيئة البحرانية ، وكانت على عهد ابن
المقرب ، بل إلى عهد قريب جدًا تعيش على الفر زراعة ، وعلى صيد اللؤلؤ تجارة .

٣ - حكم مشرعة جامعة ، وهي في تشريعها تستن سناً حميدة ، وتضع لكل سلوك
فردى أو جماعي معياراً يضبطه ويحدد قيمته ، بل إنها لتتعدى ذلك إلى المقومات الأساسية
للدولة القوية ، وترسم الحدود الفاصلة بين ما ينبغي وما لا ينبغي في الأمور المادية والمعنوية ،
بناءً على مقاييسه الخاصة به ، وهي مقاييس ذاتية غير ملزمة ، وقد تكون غير مسلمة .
نجد ذلك في مقدمة القصيدة رقم ٢٤ ص ١٦٧ قال :

العز ما خضعت لحيثه العدى	وأقام بالفكر الملوك وأقعدا
والمال ما وثاك ذمًا أو بنى	عليك أو أبقي لقومك سؤدا
والجود ما بُلّت به رجم وما	أوليت ذا أمل أعدك مقصدا
واللزم إكرام السلم لأنه	كالذب لم ير عذوة إلا عدا
والعزم ما ترك الحديد مقللاً	والخيل حصى والوشح مقصدا ^(١١)
والثبل فشكك بالمُعادي غادرًا	أو وافيًا مستنجداً أو منجداً ^(١٢)
عشر يعز ولا وفاء معقب	ذلا ، وجهل كفى ذا جهل هدى

فإذا ظفرت من العدو بغرة فافطك ففطك اليوم متجاة غدا
والحلم في بعض المواطن ذلة فاصفح وعاقب واعجلن وتأبدا
ما كل حلم مصلح قلطالما غر السفيه الحلم عنه وأفسدا
كل البادة في السخاء ولن ترى ذا البخل يدعى في العشرة سيدا
ومن الحساسة أن تكون على العدى غيئا وفي الأذنين ليئا أبدا^(١٣)

والقراءة الثابتة لهذه الحكم تتهدى إلى أمور كثيرة منها : أنها توجيه سياسي واقتصادي واجتماعي ، وهو توجيه إيجابي غرضه الإصلاح وعلاج الأدواء السائدة لكن بطريقة غير مباشرة .



٤ - حكم مستمدة من التكوين النفسي للشاعر ، وهو تكوين طبعي ، لحمت أنه أمير وسداه أنه فقير مضطهد ، قال من القصيدة ٤٢ ص ٢٧٢ :

لأركبن من الأهوال أعظمها هولا وما يحفظ الرحمن لم يضع
ما أفبح الذل بالحر الكريم وما أسوأ وأقبح منه العز باللكع
أجد أعشق والآداب بسارعة وفروة أجد مصطاي ومرتبهي
لا خير في منزل تشقى الكرام به ويلحق السيد المتبوع بالتبع

والحكم هذه المرة تُسايِتُ الفخر ، وتضخم الإحساس بالذات حتى ليفيق بها إطارها ، ويترى عنها غضبا على من أفسعوا طريقها وأكلوا حقوقها .

وإذا نظر إلى هذه الحكم وأمثالها في حينها على أنها حديث نفس أو ثورة نفس ، فإننا ننظر إليها الآن ، وبعد ثمانية قرون من قولها على أنها صورة نفس عزيزة مهتزمة ، يؤازر ذلك ويعين

عليه ، بل ويشرحه ويوضحه مسلكه الذي سلكه ، ومنهجه الذي التزمه ونصح غيره به في مقدمة القصيدة رقم ٢٠ ص ١٤٠ قال :

تجاف عن العجبى لما الذنب واحد	وهب لعروف الدهر ما أنت واجد
إذا خاتك الأدنى الذي أنت حزبه	فلا عجباً إن اسلمتك الأبعاد
ولا تشك أحداث الليالي إلى امرئ	فذا الناس إما حاسد أو معاند
وعدّ عن الماء الذي ليس ورده	بصافٍ لما تعمى عليك الموارد
وكم منهل طامس النواحي وردته	على ظمأ وانصعت والريق جامد ^(١)
فلا تحسّن كلّ المياه شريعة	يُل الصدى منها وتوكى المزاود ^(٢)
فكم مات في البحر اغبط أعوطا	بغُلّسه وثلوج جبارٍ وراكد
وإن وطن ساءلك أخلاق أهله	فدعه لما يفضى على القص ماجد
لما هَجَرَ أُمَ غَدَتِكَ لبائها	ولا الخطّ إذ فارقتها لك والد
وقد ربما يحزى على الصد والقل	أب وأنح والمرء ممن يـاعـد
فَبَتَّ حبانَ الوصل ممن تَوَدَّه	إذا لم يرد كل الذي أنت وارد
وقل للبياني كبها شنت فاصمي	فإن على الأقدار ثأني المكائد
ولا ترهب الخطب الجليل قوله	فطعم المنايا كبها ذقت واحد



واين المقرب في هذه الحكم صاحب أنفة ، وهو يترامى لنا رجلَ فكرٍ وفلسفة لكنه يعيش في منطقة الظل ، وكأنه لا يبنى عنها حولا .

٥ - حكم مستمدة من التراث بعد أن تمثله وهضمه ، وبعد أن ومحه بميسمه ، وإذا كان قد صاعها صياغة جديدة ، فإنها رعب صياغتها الجديدة هذه تستدعي إلى أذهاب مصدرها ، وتبني إليها ، ولا يقتصر ذلك على حكمه بل يسحب على كثير من أعراسه وصوره ، وإن لمقرب ليس مدعاً في هذه ، فكل شاعر كذلك ، وفي أدب لا يتمرس بالتراث الأدبي يأتي أدبه جديداً معاً ، ومن هذا المنبع استمد من المقرب حكماً كثيرة جداً من ذلك قوله في القصيدة رقم ٨١ ص ٥٥٧ .

وشكَّلة السيف أمضى في العدو وإن فُلت مضاربه من شكله القلم
فهو من قول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الحد واللعب
وقوله في القصيدة نفسها :

سعدله والدم المهرق حصبا ولا يفر دم إلا بسفك دم

والشطرة الثانية - وهي الحكمة - مستمدة من قول الله تعالى : «ولكن في القصص حياة»
ومن قول لعل : «القتل أنقى للقتل»

٦ - حكم مستمدة من التراث ومن وقع الأحداث معاً ، وهذا هو تصديق العاد على حكمه كقوله في القصيدة رقم ٤١ ص ٢٦٦ وهي قصيدة جاءت على موال قصيدة قطري من الفجاءة

أقول لما وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعي
قال ابن المقرب :

ردي من الخوف ولا تراعي لما خوف النية من طباعي

وعزماً صادقاً فلکم مضيق
ومن هاب للنسبة أدرکنه
بصدق العزم صار إلى اتع
ومات أذل من فقع بقاء^(١٧)



ولا تمضي الحكمة خالصة ، بل تأتي ممزجة بشجاعة الشاعر ، وينقده اللاذع مجتمعه قال :

تخولني ابنه العبدی حتی
فطلت طاً ولقد أريت وزادت
رويدك - لاشقت - فلن تطاعي
رأيت ركونها فيه الداعي^(١٨)
ولكن بين آساد جيع
إذا ما آنت صوت السباع
ضعيف العزم أهل من يراع^(١٩)
بُعید اليأس داعية اجتماع
وكم من فرقة طالت فكات



بعد هذا التصنيف لشرائح الحكمة عند ابن المقرب ، وما أكثرها ، نختتم بهذه الحكم الرائعة له ، وقد آنت في الآيات ٤١ - ٤٩ من القصيدة ٥١ ص ٣٤١ قال :

أبأ نفس صبراً للمنايا فرما
فكم ضاق أمرٌ ثم وإلى اتاعه
وقد بأمن النفس السها لاحتقاره
وما بين موتور ولا بين واتر
وليس عجيباً أن يحقر عالمٌ
فقد ربما للجد يُكرم ناهق
وقد يلبس الديباج قردٌ ولعبة
أتى فرجٌ للسر والره غافل
وما عاجل إلا ويستلوه آجل
ويغشى الخوف البدر والبدر كامل
للمصل القضا إلا لبال قلال
لدى جاهل أو أن يُوقر جاهل
فيخل له المرعى ويُحرّم صاهل
وتلوى بأعناق الرجال اللاسل

وما الدهر إلا فرحة ثم ترحة تنأويها الأيام والكل زائل
 ففترى حياءً واطمئني جلادة لأي كرم سالكه الغوائل
 إلى آخر ما قال ، وهي حكم تقع في ذواكرنا على بعض الآيات القرآنية ، والآيات
 الشعرية ، والحكم الشائعة .

من الآيات القرآنية :

«ومن يتق الله يجعل له مخرجاً.....»
 «فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً» .
 «وللك الأيام نداؤها بين الناس»
 «كل من عليها فان» .

ومن الآيات الشعرية :

ما بين غمضة عين وانتباهها يغير الله من حال إلى حال
 ربما تكبره النفوس من الأمل سر له فرجة كحل العقال
 لا تنكري عطل الكرم من الغنى فالليل حرب للمكان العاني
 وكأن الزمان أصبح محمو لا هواه مع الحبس الأحسن
 ولو كانت الأزواق تجري على الحصى هلكن إذا من جهلهن اليأس
 ذو العقل يشقى في النعم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينم
 أفاضل الناس أغراض لذا الزمن بخلو من أعلامهم من اللحن
 ومن الحكم الشائعة :

• الصبر طيب .
 • اشتد أزمة تفرجى .
 • إن غدا لناظره قريب .

- من مأمته يؤذي الخلق .
- ويل لعالم أمره إلى جاهل .
- قيراط حظ أنفع من فدان شطارة .
- يُعطى القروط من ليس له أذنان .
- الدهر يومان يوم لك ويوم عليك .
- لا فرح يدوم ولا حزن يدوم .
- المؤمن مبتلي .

• • •

أما بعد فإن حكم ابن المقرب - وهي أحد مضامينه الشعرية المهمة - لا ينهض بها ، ولا يوفى بها حقها مقال محدود الصفحات ، وإنما تحتاج إلى دراسة مستفيضة تفسرها وتحللها وتردها إلى مصادرها من نفس صاحبها ومن ظروفه المحيطة به ، ومن قراءاته ومكونات ثقافته ، ثم تصنفها تبعاً لذلك ، وقد راعيت في هذا البحث بعض ذلك لا كله ، وهو لذلك جهل المقل وليس جهد الوافي .



• الهوامش •

- ١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء الصفحات ٢٩٣ و ٣٦١ و ٣٦٢ ، ت. محمد الحبيب بن الخوجة ، تونس ، ١٩٦٦ م .
- ٢- حقائق البحر في حقائق الشعر بالفارسية الصفحات ١٥٥ و ١٥٦ و ١٨٦ ترجمة إبراهيم الشواربي . طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٥ .
- ٣- مصدر هذا التحديد هو فيروان ابن القريب ، ت. محمد الحلو ط ١ ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م . نشر مكتبة التعاون الثقافي بالأحساء .
- ٤- القصيدة : أصل المثل ، والردئي : الرفع نسبة إلى رديئة وهي امرأة اشترت بتقوم الرماح .
- ٥- حرار الحجاز خمس هي : حرة بني سليم وحرة واقم وحرة ليل وحرة شوران وحرة النار ، والخواطم : الأمواج يلطم بعضها بعضا .
- ٦- الفلصمة : اللصين الرأس والعتق .
- ٧- البوة : حلقه تجمل في ألف الناقة أو الفرس ، والشكيمة : حديدة اللجام للمفرسة في الفم .
- ٨- الخرجو : الصدر ، وعني بما تحت الجاني ما تكنه الصدور .
- ٩- الغواني : الأعطية ، والطة بأثرك ، والزوار يتأثرك ، والتزاجم : جمع التزجان ، أي تكون مقصودا للناس من كل لون وجنس فلا تلهيهم منهم ولا تلهيهم إلا بتزجان .
- ١٠- عروق النخل : شاربخ البلح ، وقع الثمرة : ما التصق بأسفلها وهو ما يصلها بالشاربخ .
- ١١- مفللا : منكسرا ، والرشيع : شجر الرماح ، ومقصدا : منكسرا .
- ١٢- في الديوان (والثبل) ولا يستقيم به النسي ، لما بعده ليس نلأ .
- ١٣- فأله : تقوى ، وألهه : ذو ليد .
- ١٤- منيل طام : عال مجلى ، والنصاع : اغتزل وغفل واجمأ .
- ١٥- شريعة : مباحة ومشروع ورودها . الموكاة : رباط القرية ، وتوكي الزاود معناه تربط يده ملثا .
- ١٦- القلع : البيضاء الرخوة من الكاة ، ويقال للدليل : هو أذل من صنع بضاع ، لأنه لا يتبع حل من جاء ، ولأنه يوحأ بالأرجل .
- ١٧- الانداع : السكون والاستقرار .
- ١٨- الكس : الضعيف الذي لا خير فيه ، وهو أيضا القصر عن غاية الكرم والجلود . البراع : النصب ، ومن لا رأي له ، والبيان .